شارح مالكي لصحيح الإمام البخاري من الغرب الإسلامي

عرض بيبليوغرافي

إعداد: ذ. محمد رستم

عضو الرابطة فرع بني ملال

لعلماء المغرب والاندلس ولع شديد بشرح صحيح الامام البخاري (ت 256هـ): وقد ظهر ذلك بينا واضحا في أن كان منهم ثاني شارح للجامع الصحيح على الاطلاق فيما بسطنا فيه القول في غير هذا الموضع [1]

وتتابع اهل المغرب والاندلس مع اختلاف طبقات علمائهم، وتعدد مشاربهم وتنوع مناهج التأليف عندهم على شرح الجامع الصحيح، فكان لهم في ذلك حضور بارز، وحظ عظيم.

وسنفرد هذه الدراسة لأحد أعلام شراح البخاري من أهل الاندلس، وهو الامام علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي.

أولا : نبذة عن حياة الامام ابن بطال:

لم يحظ ابن بطال بعناية المؤرخين والمشتغلين بالتراجم وسير الاعلام، لذلك جاءت الأخبار عنه قليلة، لا تكفي في كتابة ترجمة مستفيضة له، مع انه لم يكن خامل الذكر، مغمور الوصف، فشهرته بين أعلام شراح البخاري معلومة في المشرق والمغرب.

وان تعجب إعراض بعض علماء التراجم والوفيات من أهل المشرق عن الترجمة له مع انه على شرطهم، واكتفاء بعضهم بالنزر القليل عنه، وكانه لم يصل اليهم الا ذلك القليل. [2]

واقدم من علمناه ترجم لابن بطال القاضي عياض (544هـ) ثم تلاه الحافظ بن

1- انظر دراسة لنا بعنوان: "اول شرح مغربي لصحيح الامام البخاري" في "دعوة الحق" العدد 313 السنة 36 جمادى الولي - والثانية 1416 هـ (ص 95 - 104).

2 - واعجب من هذا اعراض الشيخ ابي الحسن النباهي المالقي (كان حياته 793 هـ) عن ذكر ابن بطال في تاريخ قضاة الاندلس"، مع انه على شرطه، فقد تولى قضاء لورقة كما سياتي !!!

بشكوال (تـ 578هـ)، فالحافظ الذهبي (تـ 748هـ)، فابن فرحون (تـ 799هـ)، فابن العماد الحنبلي (تـ 1089هـ)، ثم اتى على اثرهم صاحب شجرة النور الزكية، وصاحب الفكر السامي (3).

واوسع هؤلاء ترجمة له: القاضي عياض، والحافظ ابن بشكوال، ومادة الترجمة عندهما متشابهة، كما أن عند كل منهما ما ليس عند الآخر.

واما الحافظ الذهبي، فلم يترجم لابن بطال في تذكرة الحفاظ، وكأنه عنده ليس على شرطه، واكتفى فيها بالتنبيه على انه من وفيات سنة 449هـ (4).

واما في ً سير اعلام النبلاء ً. فترجم لابن بطال ترجمة متوسطة، اخذها من ابن بشكوال. (5)

واما في ً العبر ً ًفجرى على عادته في الاختصار والايجاز، فترجم لابن بطال ترجمة موجزة جدا. (6)

واستقى ابن فرحون في الترجمة لابن بطال من القاضي عياض، والحافظ ابن بشكوال حيث لم يات بشيء جديد. (7)

وقلد ابن العماد الحنبلي، الحافظ الذهبي، في الترجمة لابن بطال فنقلها من ً العبرً حذو القذة بالقذة. (8)

واما الشيخ محمد بن محمد مخلوف، فاوجز في ترجمة ابن بطال، وكأن نظر في كتابتها ً العبرً أو ًشذرات الذهب ً (9)

واما مترجمنا فهو ابو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي (10)، يعرف بابن اللجام (11)، لم اجد من عين تاريخ مولده، واصله من قرطبة، لكنه خرج منها للفتنة الى بلنسية فسكنها. (12).

---

3 - انظر الفكر السامي (ج /3ص 244) دار الكتب العلمية بيروت 1416 هـ، ووردت ترجمة ابن بطال في : التاج المكلل (ص 296)، وافاد محقق ً سير اعلام النبلاء ً ان له ترجمة في الوافي بالوفيات للصفدي (تـ 764هـ)، ورجعت الي الموضع الذي ارشد اليه من الكتاب المذكور، فلم اجد شيئا، فلعله في طبعة اخرى والله اعلم.

4 - انظر: تذكرة الحفاظ (ج 1127/3) دار احياء التراث العربي بلا تاريخ.

5 - انظر: سيد اعلام النبلاء (ج /18ص47). طبعة مؤسسة الرسالة.

6 - انظر: العبر في خبر من عبر (ج /2ص 294) تحقيق ابو هاجر محمد والسعيد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية بيروت.

7 - انظر : الدباج المذهب (ج /2 ص 105) تحقيق د› حمدي ابو النور.

8 - انظر : الدباج المذهب (ج 5 ص 214) طبعة دار ابن كثير.

9 - انظر شجرة النور الزكية (ج 1 ص 115) دار الفكر بلا تاريخ.

10 - انظر: ترتيب المدارك (ج /8ص160). تحقيق: سعيد اعراب. طبع وزارة الاوقاف، الصلة (ج/2ص 394) تحقيق السيد عزت العطار الحسني. القاهرة ط 1374/1 هـ 1403هـ.

11 - هكذا في الصلة والديباج المذهب، وفي ترتيب المدارك والصلة - في طبعة اخرى - : ً ابن اللحام ً باهمال الحاء وفي شجرة النور: ً ويعرف باللجامً بدونًابنً ، واللجام نسبة إلى عمل اللجم.

12 - انظر: ترتيب المدارك (ج /8ص160) والصلة (ج/2ص 394).

اخذ العلم عن جماعة من أهل الاندلس، ليس فيهم الا من وصف بالحفظ والامامة والجلالة، كأبي عمر الطلمنكي [13]، وابي المطرف القنازعي، وأبي الوليد يونس بن عبد الله القاضي [14] وأبي عمر بن عفيف والمهلب بن ابي صفرة [15]، وابي محمد بن بنوش، وابن القرضي [16]، وابي القاسم الوهراني، وابن عبد الوارث وابي بكر الرازي [17].

وحمل العلم عن ابن بطال جماعة من العلماء من بينهم: ابو داود المقرئ، وعبد الرحمن بن بشرى. [18]

ووصف ابن بطال بالعلم والفهم، والعناية التامة بفنون الحديث، قال القاضي عياض: "... وكان ابن بطال رحمه الله نبيلا جليلا متصوفا"، [19] ونوه به ابن بشكوال قائلا: "... وكان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط، عني بالحديث العناية التامة، واتقن ما قيد منه" [20].

ونعته صاحب شجرة النور الزكية بقوله: "الامام العالم الحافظ المحدث الراوية الفقيه" [21].

وعرفت لابن بطال مؤلفات منها:

1 - شرح صحيح البخاري، ويأتي الكلام عليه.

2 - الاعتصام في الحديث، ذكره له ابن فرحون [22]

3 - كتاب في الزهد والرقائق: ذكره له القاضي عياض [23].

وتذكر كتب التراجم ان ابن بطال ولي خطة القضاء في لورقة [24].

---

13 - هو الحافظ الامام المقرئ أبو عمر احمد بن محمد الطلمنكي، عالم أهل قرطبة المتوفى سنة 429هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (1098/3 - 1100).

14 - هو القاضي ابو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث من أهل العلم بالفقه والحديث والعناية بالرواية توفي سنة 429هـ. انظر: تاريخ قضاة الاندلس (ص95 - 96)، المكتب التجاري. بيروت بلا تاريخ.

15 - هو القاضي المهلب بن احمد بن ابي صفرة الاسدي احد الائمة الفصحاء الموصوفين بالذكاء والحفظ والاتقان المتوفى سنة 435هـ. وانظر ترجمته في: جذوة المقتبس (ص 330) تحقيق محمد ابن تاويت القاهرة.

16 - هو الحافظ الامام الحجة ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف القرطبي صاحب تاريخ الاندلس المتوفى سنة 402هـ انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (3/ 1076/1079)

17 - انظر: ترتيب المدارك (ج==/ص 160) والصلة (2/394) وسير أعلام النبلاء (ج /18ص 47)

18 - انظر: الحاشية السابقة.

19 - انظر: ترتيب المدارك (ج /8ص 160).

20 - انظر : الصلة (ج/2ص 394).

21 - انظر: شجرة النور الزكية (ص 115) (ج /1ص 115).

22 - انظر: الديباج المذهب (ج/2ص 105).

23 - انظر : ترتيب المدارك (ج /8ص 160).

24 - انظر : الصلة (ج /2ص 394) والديباج المذهب (ج /2ص 105) وسير اعلام النبلاء (ج /18ص 47).

واختلف في سنة وفاة ابن بطال، فقيل سنة 444هـ [25]، وقيل سنة 449هـ وعليه الاكثر [26]، وعين القاضي عياض مكان الوفاة في بلنسية [27].

وقال ابن بشكوال: "وقرأت بخط ابي الحسن المقرئ، انه توفي ليلة الاربعاء، وصلي عليه عند صلاة الظهر آخر يوم من صفر" [28].

ثانيا : اثبات صحة نسبة شرح صحيح البخاري لابن بطال:

وردت نسبة "شرح صحيح البخاري" الى ابن بطال في جميع المصادر التي ترجمت له، او في الكتب التي ذكرت الشروح الموضوعة على "الجامع الصحيح". فالقاضي عياض يقول: "... والف شرحا لكتاب البخاري كبيرا..." [29].

وقال ابن بشكوال: "وشرح صحيح البخاري في عدة اسفار..." [30].

وقال الذهبي: "ابن بطال شارح صحيح البخاري" [31]. وفي "العبر" قال: "وابن بطال مؤلف "شرح البخاري" [32].

وقال ابن فرحون: ".... والف شرح البخاري" [33]

وقال ابن العماد: وفيها – اي في سنة 449 توفي – ابن بطال مؤلف شرح البخاري" [34]. كما نسب الشرح الى ابن بطال حاجي خليفة، والمباركفوري، ومحمد عصام عرار [35].

ولم تذكر هذه المصادر لشرح ابن بطال اسما معينا.

---

25 – انفرد بهذا القول القاضي عياض في ترتيب المدارك (ج /8ص 160)

26 – انظر: الصلة (ج /2ص 394) والعبر (ج /2ص 294). والديبا ج المذهب (ج /2ص 105) وشذرات الذهب (ج /5ص 214).

27 – انظر: ترتيب المدارك (ج /8ص 160).

28 – انظر : الصلة (ج /2ص 394).

29 – انظر : ترتيب المدراك (ج /8ص 160).

30 – انظر : الصلة (ج /2ص 394).

31 ـ سير أعلام النبلاء ج 18 ص 47.

32 – انظر : العبر (ج /2ص 294).

33 – انظر الديبا ج المذهب ـج /2ص 105).

34 – انظر : الشذرات (ج 5 ص 214).

35 – انظر: كشف الظنون (2/546) دار الفكر، وتحفة الاحوذي (1/255) دار الفكر واتحاف القارئ (ص 198). اليمامة دمشق. الطبعة الاولى 1407هـ.

ثالثا : ذكر مواضع وجود الشرح:

توجد *لشرح ابن بطال* عدة نسخ خطية *في العالم* يمكن *الحديث* عنها كما يلي:

ا : في خزائن المغرب: احتفظت أشهر مكتبات المغرب بعدة اجزاء مخطوطة لشرح ابن بطال، فمنه:

1 - نسخة خطية في الخزانة العامة بالرباط برقم 239 ق، تشتمل على الجزء الاول من الكتاب، وهي من ممتلكات احمد بن محمد بن ناصر الدرعي واولها ناقص من كتاب بدء الوحي. ولقد تأملت آخرها، فلم أجد تاريخ نسخها:

2 - نسخة خطية في خزانة القرويين بفاس، برقم 423، تشتمل على القسم الثاني، وكتبت سنة 776هـ.[36]

3 - نسخة خطية في مكتبة الجامع الاعظم بمكناس برقم 330، وهي تشتمل على الجزء الاول وفي اولها ما يدل على انها من اوقاف السلطان محمد بن عبد الله على الخزانة.

4 - نسخة خطية في خزانة ابن يوسف بمراكش برقم 485، وهي متلاشية جدا.

ب : في البلاد العربية والاسلامية:

1 - نسخة خطية بالمدينة المنورة، في المكتبة المحمودية برقم 38، وهي تشتمل على القسم الاول.[37]

2 - نسخ متعددة في الازهر: تشتمل على الأجزاء 1، و3 و4.[38]

3 - نسخة خطية في استانبول بتركيا، وهي تشتمل على الجزء الاول، وهو ناقص الاول[39]

ج : في البلاد الاجنبية.

1 - نسخة خطية بمكتبة تشستربتي The chester Beatty library بدبلن، برقم 4785، تشتمل على الجزء الخامس وهو مبتور الآخر.

36 - انظر: تاريخ التراث العربي (ج /1ص 229) نشرة ادارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن سعود الاسلامية 1403هـ.

37 - انظر: المصدر السابق، واتحاف القارئ بجهود العلماء على صحيح الامام البخاري (ص 198). محمد عصام عرار.

38 - انظر: المصدرين السابقين.

39 - انظر اتحاف القارئ (ص 198)

40 - انظر: اتحاف القارئ بجهود العلماء على صحيح الامام البخاري (ص 198)

2 - نسخة خطية في بريل بهولندا (هوتسما ج 690/2، وجاريت برقم 1349) (40).

رابعا: منهج ابن بطال في شرح البخاري:

لبيان منهج الامام ابن بطال في ً شرح البخاري ً، لا بد ان نلم بالعناصر الآتية:

أ - مصادر ابن بطال وموارده:

تعددت مصادر ابن بطال في شرحه، وتنوعت، فانقسمت الى هذه الاقسام:

1 - شيوخه: ومن اعلام هؤلاء المشايخ: الامام المهلب بن أبي صفرة، الذي اكثر ابن بطال من النقل، عنه، والاستفادة منه، وله في ذلك طريقتان:

الأولى : سؤاله له عن الامر يشكل عليه، كقوله عند شرح حديث ثابت بن الضحاك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ًمن حلف بملة غير الاسلام كاذبا، فهو كما قال... الحديث ً (41) - : ًكنت اسال المهلب كثيرا عن هذا الحديث لصعوبته، فيجيبني بأجوبة مختلفة، والمعنى واحد، قال: ًقوله ًفهو كما قالً يعني كاذب لا كافر، الا انه لما تعمد الكذب، الذي حلف عليه، والتزم الملة التي حلف بها قال عليه السلام فهو كما قال، من التزام تلك الملة، ان صح قصده بكذبه الى التزامها في تلك الحالة، لا في وقت ثان، اذا كان ذلك على سبيل الخديعة للمحلوف له. ً (42)

الثانية : النقل عن المهلب بن ابي صفرة من غير تصريح بسؤاله: والنقول على هذا الوجه كثيرة جدا، نجتزئ - ههنا - بواحد منها، من كتاب ً بدء الوحي ً، ذلك ان ابن بطال قال تعليقا على قول عائشة رضي الله عنها: ً ... فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح.. ً (43) -: ًقال المهلب : هي تباشير النبوءة، وكيفية بدئها، لانه لم يقع فيها ضغث، فيتساوى مع الناس في ذلك، بل خص بصدقها كلها ً. (44)

ومن مشايخ ابن بطال الذين نقل عنهم في شرحه، ابو بكر الرازي، الذي صرح بالسماع منه، اثناء شرح حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم: ً كان يقول عن الكرب: لا اله الا الله العظيم الحليم، لا اله الا الله رب العرش العظيم، لا اله

41 - اخرجه البخاري في كتاب الادب، باب ً من اكفر اخاه بغير تأويل فهو كما قال ً حديث رقم 6105.

42 - انظر : فتح الباري (ج /10ص 423). دار احياء التراث العربي الطبعة الثانية. انظر تعليق الحافظ بن حجر على هذا الفهم من المهلب.

43 - اخرجه البخاري في ًبدء الوحيً..ً باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم 3.

44 - انظر: شرح ابن بطال للبخاري (ج /1لوحة 1) نسخة الخزانة العامة بالرباط

الا الله رب السماوات ورب الارض، ورب العرش الكريم ً [45]، - فانه قال: حدثني ابو بكر الرازي قال كنت باصبهان عند ابي نعيم اكتب الحديث، هناك شيخ يقال له أبو بكر بن علي، عليه مدار الفتيا، فسعي [46] به عند السلطان فسجن، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، وجبريل عن يمينه يحرك شفتيه بالتسبيح لا يفتر فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: قل لأبي بكر بن علي يدعو بدعاء الكرب الذي في صحيح البخاري حتي يفرج الله عنه، قال: فاصبحت فاخبرته فدعا به، فلم يكن الا قليلا حتى أخرج ً. [47]

وقد لا يسمي ابن بطال من ينقل عنه من مشايخه، لكنه ينبه عليهم بقوله: ً... سالت شيوخي... ً [48].

2 - مصادر عامة : فمنها ما هو في التفسير كالنقل عن الامام أبي جعفر الطبري (ت 310هـ)، وعن الحافظ بقي بن مخلد (ت 276). [49]

ومنها ما هو في الحديث وفقهه: كالنقول عن الامام ابن قتيبة (ت 246هـ) والحافظ بن المنذر (ت 318هـ)، والامام أبي جعفر الطحاوي (ت 321هـ) والحافظ أبي محمد الاصيلي (ت 392هـ). [50]

ومنها في فقه الفروع : كالنقول عن بعض حملة مذاهب الائمة المتبوعين، كالنقول عن اشهب بن عبد العزيز المالكي (ت 204هـ)، وابن حبيب عبد الملك السلمي (ت 238هـ) وابن القصار (ت 398هـ). وغيرهم [51].

ومنها ما هو في اللغة وبيان غريب الحديث: كالنقول عن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ)، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت 224)، وأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت 285هـ). وغيرهم [52].

---

45 - اخرجه البخاري في ً الدعوات ً باب الدعاء عند الكرب ً حديث رقم 6346

46 - يعني تآمر عليه اعداؤه، فسعوا به عند سلطان ذلك الوقت.

47 - انظر: فتح الباري (ج /11ص 123). وعمدة القارئ (ج /22ص 303). طبعة دار الفكر.

48 - انظر : فتح الباري (ج /6ص 120)

49 - انظر النقل عمن سميناه في: شرح ابن بطال (ج /1لوحة 99) وفتح الباري (ج /3ص 7). وفيه قال ابن حجر: ً وقد حكى ابن بطال عن تفسير بقي بن مخلد... ً

50 - انظر النقول عن هؤلاء في: شرح ابن بطال (ج /1لوحة 10 و 107 و 154 و 187 و 188 و 107). وانظر ايضا: فتح الباري (ج /2شرح ابن بطال (ج /12ص 264).

51 - انظر في النقول عن هؤلاء: شرح ابن بطال (ج /1لوحة 143 و 144 و 183).

52 - انظر النقول عن هؤلاء: في شرح ابن بطال ج /1لوحة 11 و 17 وانظر ايضا مع ذلك: عمدة القارئ (ج /3ص 214).

وقد يهمل ابن بطال ذكر مصدره بما يميزه، فيشير إليه بلفظ عام من غير تعيين كقوله : « ... قال لي بعض الناس»[53] وقال غيره...» [54]، او كقوله عند شرح حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ً يعقد الشيطان على قافية رأس احدكم إذا هو نام ثلاث عقد ... ً [55] – ً ورأيت لبعض من فسر هذا الحديث: ً العقد ثلاث هي: الاكل والشرب، والنوم ً، وقال ألا يرى أنه من أكثر الاكل والشرب أنه يكثر النوم لذلك ً. [56].

ب : منهج ابن بطال في شرح البخاري:

رتب ابن بطال شرحه وفق ترتيب ما وقع اليه من رواية الجامع الصحيح [57]، وكان من عادته في ذلك ان يقول: كتاب كذا، باب كذا، ثم يقول: ً فيه حديث فلان، وفلان، ثم قد يذكر الحديث بكماله، أو يقتصر على طرف منه، ثم يمضي معلقا عليه بقوله: ً قال المؤلف ً، وقد ينطلق متكلما على الحديث من غير فصل. [58]

وقد يطول كلام ابن بطال على الحديث أو يقصر، وذلك بحسب السبب الداعي الى الشرح والتعليق.

والكلام على طريقة ابن بطال في الشرح يكون من وجوه:

الوجه الأول *: اهتمام الشارح بالجانب اللغوي، وذلك من خلال ما يلي:*

1 - ضبط الالفاظ: كقوله في شرح حديث أنس بن مالك الذي فيه ان الاعرابي

53 – انظر: شرح ابن بطال (ج /1لوحة 154).

54 – انظر: شرح ابن بطال (ج /1لوحة 162).

55 – اخرجه البخاري في ً التهجد ً باب عقد الشيطان على قافية الرأس اذا لم يصل بالليل حديث رقم 1142.

56 – انظر: شرح الكرماني (ج /6ص 197) الطبعة المصرية 1356هـ. وقد نقل العيني في العمدة (ج /7ص 193) هذا القول وقال: ً واستبعد بعضهم هذا القول لقوله في الحديث: ً اذا هو نام ً فجعل العقد حينئذً.

57 – الذي استظهرته من عبارات الائمة الناقلين عن ابن بطال، ان صحيح البخاري اتصلت روايته به من طريق القابسي – وهو العلامة ابو الحسن علي بن محمد المعافري المتوفى سنة 403هـ – وذلك لأمور منها:

1 – قد يكون القابسي في عداد مشايخ ابن بطال، رغم تقدم وفاة القابسي باربعين سنة عن وفاة ابن بطال.

2 – اذا فرضنا جدلا ان ابن بطال لم يلق القابسي، وذلك مكن، فان الرجلين يلتقيان بواسطة المهلب بن ابي صفرة، الذي ثبت بالدليل انه حمل عن القابسي بمصر، وعلى هذا يكون القابسي في عداد شنوع مشايخ ابن بطال.

3 – يرد في نقول ابن حجر والعيني ما يفهم منه ان ابن بطال اخذ عن القابسي، من ذلك: أ – قال بان حجر في شرح حديث الإفك وفيه قوله: ً ولم يلفت اليتنازعهم ً قال ابن بطال عن القابسي كأنه اراد تنازعهما.... ً وانظر الفتح (13/288). ب – قال العبني تعليقا على قول البخاري: ً باب قول الله تعالى: ً انا الرزاق ذو اقلوة المتينً ً في رواية القابسي: ً انا الرزاق ذو القوة المتين ً وعليه جرى ابن بطال ً وانظر: العمدة (ج /25ص 85).

4 – اشتهرت رواية القابسي للصحيح في الغرب الاسلامي، ولذلك ذكرها غير واحد من أهل المغرب والاندلس ممن له اشتغال بالحديث، ومنهم ابن خير الاشبيلي المتوفى سنة 575هـ وانظر فهرسته (ج /9ص ت119). من المكتبة الاندلسية تحقيق ابراهيم الابياري، والله أعلم وأحكم.

58 – بعني انه لا يفصل بين الحديث وبين كلامه بفاصل، وانظر: شرح ابن بطال (ج /1لوحة 20 و 106 و 107 و 167).

قال: ً يا رسول الله بشق المسافر، ومنع الطريق ً - (59): ًلم أجد في اللغة لبشق - بالموحدة - معنى، وانما نشق بالنون وكسر المعجمة كمعناه نشب ً (60).

2 - التنبيه على أصول الكلم : من ذلك قوله في حديث ابي هريرة الذي وقع فيه قول جريج للولد: ً يابابوس(61). ً - [هو] الرضيع وهو بوزن جاسوس، واختلفوا هل هو عربي أو معرب ً (62)

3 - شرح مدلولات الالفاظ : من ذلك شرحه لقوله صلى الله عليه وسلم: ً فيفصم عني ً (63) فانه قال: ً... وقوله ً فيفصم عنيً، قال صاحب الافعال : فصمت الشيء فصما صدعته من غير أن أبينه، وفصم الشيء عني ذهب، وفصمت العقدة : حللتها... ً (64).

ومما يدخل في هذا الجانب اللغوي، تنبيه ابن بطال على النكات البلاغية التي اشتمل عليها الحديث النبوي، ومن هذا الضرب قوله عند شرح حديث انس رضي الله عنه الذي فيه: ً ... فيقال: ًلادريت ولا تليت.. ً (65) - : ً الكلمة من ذوات الواو، لانها من تلاوة القرآن، لكنه لما كانت مع ًدريت ً تكلم بالياء ليزدوج الكلام، ومعناه الدعاء عليه أي لا كنت داريا ولا تاليا ً (66).

الوجه الثاني : عناية الشارح بالصناعة الحديثية: وذلك من خلال ما يلي:

1 - الكلام على الاسانيد : ويندرج تحته ما يلي:

أ - تعيين الراوي الشاك في أداء اللفظ: مثاله ما وقع في حديث أبي بن كعب في تعريف اللقطة وفي آخره قال أحد رواته الواقعين في السند: ً فلقيته بعد بمكة فقال: لا أدري ثلاثة أحوال أو حولا واحدا ً (67) قال ابن بطال في تعيين الشاك من الرواة: ً الذي شك فيه هو أبي بن كعب، والقائل هو سويد بن غفلة ً (68).

---

59 - اخرجه البخاري في ًالاستسقاء ً باب رفع الناس ايديهم مع الامام في الاستسقاء ً حديث رقم 1029.

60 - انظر: فتح الباري (414/2) وعمدة القارئ (ج /7ص 51) والكواكب الدراري (شرح الكرماني) (ج /6ص 118)

61 - انظر الحديث بطوله في البخاري كتاب العمل في الصلاة. باب اذا دعت الام ولدها في الصلاة ً. حديث رقم 1206.

62 - انظر شرح الكرماني (ج /7ص 26) والفتح (ج /3ص 78).

63 - اخرجه البخاري في بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم 3.

64 - انظر : شرح ابن بطال الصحيح البخاري ج1/ لوحة 10).

65 - انظر: البخاري في ً الجنائز ً باب الميت يسمع خفق النعال ً، حديث رقم 1338.

66 - انظر عمدة القارئ (ج /8 ص 145) والكواكب الدراري (ج /7ص 117).

67 - اخرجه البخاري في كتاب ً اللقطة ً باب اذا اخبره رب اللقطة بالعلامة دفع اليه حديث رقم 2426.

68 - انظر: فتح الباري (ج /5ص79). وعمدة القاري (ج /12ص 267).

ب – بيان المهمل : من ذلك ما وقع في حديث أبي هريرة الطويل الذي فيه: فلبث خبيب عندهم أسيرا فاخبرني عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث اخبرته...ً [69] قال العيني: ً قوله ان بنت الحارث اخبرته... ً وسماها ابن بطال جويرية ً [70].

2 – الكلام على تراجم البخاري وضيعه فيها: ويشغل هذا الجانب حيزا مهما من شرح ابن بطال، ويمكن الحديث عنه في العناصر الآتية:

أولا : الكلام على فقه الامام البخاري في تراجمه : والاسئلة على ذلك كثيرة منها: قوله تعليقا على ترجمة البخاري لأحد أبواب كتاب الوضوء بقوله: ً باب الماء الذي يغسل به شعر الانسان... وسؤر الكلاب وممرها في المسجد... ً [71] – : ً وتقدير الترجمة باب الماء الذي يغسل به شعر الانسان، وباب سؤر الكلاب وممرها، وغرضه في ذلك اثبات طهارة الكلب، وطهارة سؤره.... ً [72].

ثانيا : بيان وجه احتجاج البخاري بحديث في باب معين : ومن هذا الضرب أن البخاري ساق حديث عائشة رضي الله عنها: ً كل شراب اسكر فهو حرام ً في باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر ً [73]. فعلق ابن بطال على هذا الضيع بقوله: ً ووجه احتجاج البخاري رحمه الله في هذا الباب بقوله: ً كل شراب اسكر فهو حرام ً، فهو انه اذا اسكر الشراب، فقد وجب اجتنابه لنجاسته، وحرم استعماله في كل حال، ولم يحل شرابه، وما لم يحل شربه لا يجوز الوضوء به، لخروجه عن اسم الماء في اللغة والشريعة، وكذلك النبيذ غير المسكر ايضا... ً [74].

ثالثا : بيان مناسبة ترجمة معينة، لتراجم سابقة، ختم البخاري ابواب كتاب الصلاة بباب قال فيه: ً باب المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الاذى ً ثم ساق فيه حديث عبد الله بن مسعود في قصة طويلة [75]، فانبرى ابن بطال مبينا وجه مناسبة هذه الترجمة، للتراجم التي قبلها قائلا: ً هذه الترجمة قريبة من التراجم التي قبلها،

69 – اخرجه البخاري في ًالجهاد ً باب ًهل يستأسر الرجل ؟ ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل، حديث رقم 3045.

70 – انظر: عمدة القاري (ج /14ص 292).

71 – انظر الصحيح (مع فتح الباري) (ج /1ص 272).

72 – انظر: شرح ابن بطال (ج/1لوحة 135).

73 – انظر الصحيح (مع فتح الباري) (ج/1صفحة 353).

74 – انظر: شرح ابن بطال (ج /1لوحة 189).

75 – انظر حديث رقم 520 من الصحيح (مع فتح الباري) (ج/1ص 594).

وذلك ان المرأة إذا تناولت ما على ظهر المصلي فانها تقصد الى اخذه من أي جهة امكنها تناوله، فان لم يكن هذا المعنى اشد من مرورها بين يديه، فليس بدونه" (76).

رابعا : الاعتراض على البخاري في تراجمه : وذلك من جهتين:

الأولى : ذكر امر في آخر الترجمة لا تعلق له بما ذكره في أولها:

من ذلك ان البخاري قال في كتاب" سجود القرآن" : باب سجود المسلمين مع المشركين، والمشرك نجس ليس له وضوء، وكان ابن عمر رضي الله عنه يسجد على وضوء" فاعترضه ابن بطال قائلا:" ان اراد البخاري الاحتجاج لابن عمر بسجود المشركين فلا حجة فيه، لان سجودهم لم يكن على وجه العبادة، وانما كان لما ألقى الشيطان على لسانه صلى الله عليه وسلم: تلك الفرانيق العلى...." (77).

الثانية : سياق حديث لا تعلق لترجمة الباب به: ومن هذا النوع ان البخاري ترجم على حديث أنس بن مالك في فريضة الصدقة بقوله:" باب من بلغت عنده صدقة بنت مخاض، وليست عنده" (78)، فكان ابن بطال لم يفهم مقصود البخاري في ادخال حديث انس تحت هذه الترجمة فقال :"ذكر الحديث، ولم يذكر ما بوب له وكأنها غفلة منه" (79).

3 - التنبيه على طرق الحديث: وهو قليل في شرح ابن بطال، ومنه قوله عند حديث ابن عباس في كيفية السجود (80):" ان في بعض طرق حديث ابن عباس:" أمرت أن أسجد على سبعة أعظم منها الوجه" (81).

4 - ذكر روايات البخاري والموازنة بينها : من ذلك ما وقع لابن بطال في شرح قول أبي هريرة:" فانخنست منه" (82) فانه قال: وقعت هذه اللفظة:" فانبخست" يعني كما تقدم قال: ولابن السكن بالجيم قال: ويحتمل أن يكون من قوله تعالى:" فانبجست منه اثنتا عشرة عينا" أي جرت واندفعت، وهذه أيضا رواية الاصيلي وأبي الوقت وابن عساكر، ووقع في رواية المستملي:" فانتجست"بنون ثم مثناة فوقانية، ثم جيم اي

---

76 - انظر: فتح الباري (ج 1/ص 594) وعمدة القارئ (ج 4/ص 306).

77 - انظر : فتح الباري (ج 1/ ص 554) وعمدة القارئ (ج 7/ ص 99 - 100) والكواكب الدراري (ج 6/ ص 152 وانظر اعتراض ابن حجر والعيني على اعتراض ابن بطال.

78 - انظر الصحيح مع الفتح (ج 3/ ص 316). وانظر حديث انس بن مالك برقم 1453.

79 - انظر: فتح الباري (ج 3/ 317) وعمدة القاري (ج 9/ ص 15)، وكل من جاء بعد ابن بطال واطلع على اعتراضه دفع في صدره، ونقض قوله، كابن رشيد والزين بن المنير وابن حجر والعيني.

80 .- اخرجه البخاري في الاذان باب السجود على سبعة اعظم حديث رقم 809.

81 - انظر: عمدة القاري (ج 6/ ص 90).

82 - انظر الحديث بكماله في الصحيح، كتاب الغسل، باب عرق الجنب، وان المسلم لا ينجس حديث رقم 283.

أعتقدت نفسي نجسا ... وثبت في رواية الترمذي مثل رواية ابن السكن وقال معنى انبجست منه تنحيت عنه، ولم يثبت لي من طريق الرواية غير ما تقدم، واشبهها بالصواب الأولى، ثم هذه " (83).

الوجه الثالث : عناية الشارح بفقه الحديث والاستنباط:

كان من عادة ابن بطال في شرحه ان يذكر ما اشتمل عليه الحديث الذي يسوقه البخاري من فوائد فقهية، واحكام، قائلا تارة: " ... فيه من الفقه كذا " (84) وتارة أخرى قائلا: " فائدة هذا الباب ان ... " (85) ثم يذكر فوائد الحديث، وقد يكون ذلك في أول الباب، وقد يكون في آخره.

وتتجلى عناية ابن بطال بالفقه والاستنباط في المباحث الآتية:

1 - استخراج الحكم الشرعي من الدليل: والامثلة على ذلك كثيرة: منها عند ذكر فوائد حديث ابن عباس في التسمية (86)، فانه قال: "... وفيه ان التسمية عند ابتداء كل عمل مستحبة، تبركا واستشعارا ان الله تعالى هو الميسر لذلك العمل والمعين عليه، وكذلك استحب مالك وعامة أئمة الفتوى التسمية عند الوضوء، وذهب بعض من زعم انه من أهل العلم إلى أن التسمية فرض في الوضوء.... " (87).

2 - العناية بذكر الخلاف الفقهي: وشرح ابن بطال يطفح بذكر الخلاف الفقهي، وأدلة المختلفين في مسائل الفروع، من ذلك ما ذكره تعليقا على حديث عمار في صفة التيمم (88)، فانه، قال: " اختلف العلماء في صفة التيمم فقالت طائفة: هو ضربتان ضربة للوجه، يمسح بها وجهه، وضربة لليدين يمسحهما الى المرفقين... روي هذا عن ابن عمر والشعبي والحسن وسالم، وهو قول مالك والثوري والليث وأبي حنيفة وأصحابه، والشافعي وذكره الطحاوي عن الاوزاعي، وهؤلاء كلهم لا يجزئه عندهم المسح دون المفرقين... وقالت طائفة : التيمم ضربتان يمسح بضربة (89) منهما وجهه وذراعيه الى المرفقين، هذا قول ابن أبي ليلى والحسن بن يحيى... فأما الذين

83 - انظر: فتح الباري (ج 1/ ص 390).

84 - انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 7).

85 - انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 150).

86 - انظر الحديث بكماله في الصحيح، باب التسمية على كل حال، وعند الوقاع حديث رقم 141 من كتاب الوضوء.

87 - انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 113).

88 - انظر الحديث بطوله في البخاري، كتاب التيمم، باب ضربة حديث رقم 247.

89 - في الاصل ما صورته: " بتل ضربة "، وصححتها بما تراه والله اعلم.

اختاروا ضربتين: ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، فانهم قاسوا ذلك على الوضوء، واتبعوا فعل ابن عمر في ذلك، وقالوا انما كان غسل الوجه بالماء غير غسل اليدين فكذلك يجب ان تكون الضربة للوجه في التيمم غير الضربة لليدين...ً [90].

3 - حكاية مذهب مالك، وأقوال اعلام المالكية:

وكتاب ابن بطال مشحون بآراء مالك وحملة مذهبه، ولذلك تناقل بعض الباحثين بينهم ان ابن بطال ملأ شرحه بفقه مالك واعلام المذهب، وبالغ في ذلك، حتى أعرض عن موضوع الكتاب الذي تصدى لشرحه.

وممن ذهب إلى هذا الرأي، محمد بن عبد السلام الناصري، الذي وجدته يقول في أول النسخة الخطية للشرح الذي كان من ممتلكاته: ًالحمد لله هذا جزء من ابن بطال على البخاري، وهو كتاب نافع جامع للفقه وأدلته واستنباطه، وربما استوعب غريب الحديث، واما الرجال وطرق الحديث وصناعته فقليل... وصاحبه مالكي المذهب بلا نزاع ينتصر لمذهب المالكية كثيراً ً [91].

ومن هؤلاء المباركفوري فانه قال في شرح ابن بطال: ً... وغالبه فقه مالك من غير تعرض لموضوع الكتاب غالبا [92]. ومنهم أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان الذي قال في الشرح: ً ملأه المؤلف بمذهب المالكية، كأنه قد حاد عن مقصده الأساسي، وهو شرح الكتاب، حتى أصبح الكتاب خزينة لمذهب المالكيةً [93].

والحق أن هؤلاء قد غلوا في هذا الرأي، وشايعهم عليه من لم ير شرح ابن بطال ولا مارس ممارسة الخبير المجرب، وانما هو شيء سمعه من هؤلاء فردده من غير تثبت أو معرفة.

وآية مغالاة هؤلاء في هذا الرأي أمران:

الأول : أن ابن بطال تكلم في شرحه على قضايا مختلفة في فنون اللغة وعلم الحديث مما ألمعنا إليه آنفا، كما انه ألم بمسائل تتعلق بعلم العقائد مما سياتي بيانه قريبا.

90 - انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 267 و 268)، وانظر امثلة للخلاف الفقهي وادلته في شرح ابن بطال في المواضع الآتية (ج 1/ لوحة 155 و 167).

90 - انظر اول شرح ابن بطال فستجد مكتوبا على ظهر الغلاف ما نقلناه عن محمد بن عبد السلام الناصري، رحمه الله.

91 - انظر: مقدمة تحفة الاحوذي (ج 1/ ص 255).

92 - انظر: معجم المصنفات الواردة في فتح الباري (ص 226). تصنيف أبو عبيدة مشهور بن حسن وأبو حذيفة رائد بن صبر. دار الهجرة للنشر والتوزيع الطبعة الاولى 1412هـ. السعودية.

93 - وانظر ما سبق في ً العناية بذكر الخلاف الفقهيً.

الثاني : ان ابن بطال كا يتتبع أقوال جميع اصحاب المذاهب في المسألة الفقهية، فيذكر خلافهم فيها... ودليله، ومن الشواهد على ذلك ما قدمنا فيه القول من عناية الشارح بالخلاف الفقهي وبسط أدلته. [94].

ولقد غاب عن هؤلاء المغالين في ابن بطال، ان كل ذي صنعة يرى في عمله من أثرها ما يدل على تفننه فيها، وشهرته بها، فلما كان ابن بطال مالكي المذهب، صرف همته الى حكاية آراء مالك وأصحابه، وتتبع ذلك تتبع المطلع المتمكن، فلا يقال بعد ذلك إنه خرج عن مقصود الكتاب الذي تصدى لشرحه !!

ولقد فعلها شيخه المهلب بن أبي صفرة من قبل، فلم يقل أحد أنه حاد عن مقصده من شرح الجامع الصحيح !! [95]

وههنا قضية نلم بها لمناسبة ذكر عناية ابن بطال بفقه مالك، وهي هل كان الشارح متعصبا لمذهبه، يرمي غيره بمخالفة الآثار، ومجانبة الصواب؟.

والحق أن اكثار ابن بطال من ذكر أقوال مالك، والروايات عنه، وحكاية خلاف اصحابه، مشعر بتعصب الرجل، لكن الذي نرتضيه في حاله، انه كان ينتصر لمذهبه، وفرق كبير بين المنتصر والمتعصب، لان المتعصب قد يعميه التعصب فيترك له الأخبار الصحيحة، ويدفع في صدرها، حتى يقع في السخف والتناقض، واما المنتصر، فمحب للدليل الشرعي، ساع اليه، يتلمس فيه الحجة لقول الامام المتبوع، حتى اذا كان ذلك شغل نفسه بمناقشة الخصوم المخالفين للدليل الذي قال به صاحب المذهب.

ومن الدليل على ما سبق تقريره:

1 - ان ابن بطال لم يهمل بقية اصحاب المذاهب والأقوال الواردة في مسألة فقهية معينة، بل كان يسوق جميع الاقوال، ويحكي جميع الآراء، ثم يعقب ذلك بدليل كل قول ورأي، وليس هذا من شيم المتعصب في شيء.

---

94 - انظر مقالنا في شرح المهلب بن أبي صفرة للجامع الصحيح في: "دعوة الحق" العدد 317 السنة السابعة والثلاثون. شوال 1416هـ.(ص133 - 145) وهو بعنوان: "شرح اندلسي قديم لصحيح الامام البخاري".

95 - واما حديث ابن عباس فقوله ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل في حجته، فقال: ذبحت قبل أن أرمي، فاومأ بيده قال: ولا حرج قال: حلقت قبل ان اذبح، فأومأ بيده: ولا حرج". وانظر حديث رقم 84 باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس.

وأما حديث أبي هريرة فقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج" قيل يا رسول الله، وما الهرج؟ فقال : هكذا بيده، فحرفها، كأنه يريد القتل". انظر حديث رقم 85.

2 - ومن الدليل على أن ابن بطال، كان يتلمس الحجة من الحديث لقول مالك هذا المثال الذي نختاره من كتاب العلم، ففيه أورد البخاري حديث ابن عباس وأبي هريرة [96]، فقال ابن بطال تعليقا عليهما: ً ... وفيه حجة لمالك في اجازته، لعان المرأة الصماء البكماء، ومبايعتها ونكاحها، اذ الاشارة تقوم مقام الكلام، ويفهم منها المعنى المقصود ً [97].

3 - ولقد تتبعت ابن بطال في الجزء الأول من شرحه [98]، فما وجدت لغته في مناقشة الخصوم لغة متعصب غال في التعصب، وغاية ما يصنع أن يقول: ً وذهب بعض من زعم انه من أهل العلم إلى أن ... ً [99]، أو يقول: ً وفيه رد على أبي حنيفة في قوله أن... ً [100]، أو يقول: واما قول ابن أبي ليلى والحسن بن حي فهو شذوذ... ً [101].

وقد لا يتجاسر ابن بطال على تسمية من لم يحسن الاحتجاج بالحديث لمذهبه، فيقول: ً لا حجة في هذا الحديث لمن أوجب الشفعة بالجوار ً [102]، وانكى ما وجدته له من عبارة، نسبته ابا حنيفة الى التناقض [103].

خامسا : خصائص شرح ابن بطال، وأثره في شروح البخاري :

نال شرح ابن بطال لصحيح البخاري، حظوة كبيرة من قبل أهل عصر ابن بطال، ثم من بعدهم، ففي عصر ابن بطال أقبل أهل العلم على الشرح رواية وتعلما، وفي ذلك يقول ابن بشكوال: ً وشرح - يعني ابن بطال - صحيح البخاري في عدة اسفار، رواه الناس عنه ً [104].

وقال القاضي عياض: ً والف شرحا لكتاب البخاري كبيرا، يتنافس فيه، كثير الفائدة ً [105].

96 - انظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري (الجزء الأول /لوحة 74)، وهذا من دقيق فقه مالك، ومن فطانة ابن بطال في الاحتجاج بالحديث لقول مالك.

97 - وتتبعت ايضا فيما نقله عنه أصحاب الشروح الموضوعة على البخاري: ابن حجر والعيني والكرماني والقسطلاني.

98 - انظر: شرح ابن بطال لصحيح البخاري (ج 1/ لوحة 113).

99 - انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 111).

100 - انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 268).

101 - انظر: فتح الباري (ج 4/1 صفحة 347). وقال العيني في العمدة (ج 12/ ص 76) لما وقف على قول ابن بطال: ً انما كان مراد ابن بطال من هذا الكلام التسميع للحنفية... ً.

102 - انظر: الكواكب الدراري (ج 11/ص 170).

103 - انظر: الصلة (ج 2/ ص 394).

104 - انظر: ترتيب المدارك (ج 8/ص 160).

105 - انظر : شرح ابن بطال للجامع الصحيح (ج 1/لوحة 105).

وانما كانت الحظوة لشرح ابن بطال، لانه جمع جملة من الخصائص نذكر من بينها:

1 - التتبع والاستقراء لاقوال العلماء في القضايا الفقهية: وهذا أمر بين الظهور في شرح ابن بطال، ومن الامثلة عليه: ما ذكره من خلاف العلماء في الترتيب في غسل أعضاء الوضوء قال: "... واختلف العلماء في ذلك، فروي عن علي وابن مسعود وابن عباس انهم قالوا لا بأس ان تبدأ برجليك قبل يديك في الوضوء، وهو قول عطاء وسعيد ابن المسيب والنخعي، واليه ذهب مالك والليث والثوري، وسائر الكوفيين، والاوزاعي والمزني، وقال الشافعي واحمد واسحاق وأبو ثور: لا يجزئه الوضوء، غير مرتب حتى يغسل كلا في موضعه..."، ثم ذكر ابن بطال دليل كل فريق [106].

2 - الحس النقدي: ونعني بذلك ان ابن بطال، له نظرات وآراء فيما ينقله عن غيره من العلماء المتقدمين من أقوال ومسائل، متعلقة بما ورد في الجامع الصحيح من أحاديث نبوية أو آثار في التراجم والأبواب، وينقسم نقد ابن بطال الى نوعين:

الأول : نقد لمختلف الطوائف والفرق : وحط على المعتزلة والمجسمة والدهرية، والقدرية وغيرهم ممن لهم مخالفات وطامات في العقيدة ومتعلقاتها [107].

ومن هذا يعلم ان ابن بطال كان على مذهب أهل السنة والجماعة وانه متبع غير مبتدع، كيف وهو القائل: "... ما تعبد الله به خلقه من شريعته ودينه يجب ان يكون حجة على العقول، ولا تكون العقول حجة عليه...." [108].

الثاني : مناقشة الآراء العلمية: من ذلك ان الطحاوي قال في الاحتجاج لمذهب الاحناف في وجوب القصر في السفر: "لما كان الفرض لا بد لمن هو عليه ان يأتي به، ولا يتخير في الاتيان ببعضه، وكان التخيير مختصا بالتطوع، دل على ان المصلي لا يتخير في الاثنين والاربع"، فتعقبه ابن بطال بأنا وجدنا واجبا يتخير بين الاتيان بجمعيه أو ببعضه، وهو الاقامة بمنى" [109].

ومن هذا القبيل أن أهل النظر وأهل الظاهر قالوا في هبة المريض أنها من جميع المال، فتعقب ابن بطال هذا الرأي بقوله: "هذا القول لا نعلم أحدا من المتقدمين

---

106 - انظر طرفا من نقد ابن بطال لهؤلاء في : شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 13 و 19 و 20). وانظر ايضا: فتح الباري (10380/) و (13332/ و 344 - 345). والعمدة (ج 25/ص105).

107 - انظر: شرح ابن بطال (ج بطال (ج1/لوحة 95)

108 - انظر: فتح الباري (ج 2/ص 452).

109 - انظر: عمدة القارئ (ج 8/ص 91).

قال به ً[110]. والامثلة كثيرة في انتقادات ابن بطال العلمية يمكن ان تتبع من شرحه.

وبعد عصر ابن بطال حظي شرحه بعناية من قبل شراح الجامع الصحيح على اختلاف مشاربهم، وتنوع مناهجهم، وتباين مذاهبهم، كابن العربي المعافري (تـ 695هـ) وابن التين 611هـ والحافظ النووي ت 676هـ والزين بن منيرت 695هـ وابن رشيد السبتي (تـ 721هـ)، والحافظ علاء الدين مغلطاي (تـ 762هـ) والبدر الزركشي (تـ 794هـ).

بيد أن أربعة من أعيان شراح البخاري في الشرق، نقلوا عن ابن بطال فاكثروا، وهم : العلامة الكرماني (تـ 786هـ) في شرحه على البخاري الذي سماه: ً الكواكب الدراري ً، والحافظ بن حجر في شرحه الحافل ً فتح الباري ً، والعلامة بدر الدين العيني (تـ 855هـ) في شرحه المسمى: ًعمدة القارئ ً، والعلامة شهاب الدين القسطلاني (تـ 923هـ) في شرحه الموسوم بـ ً ارشاد الساري ً، وقد تتبعت ما وقع عند هؤلاء الائمة من نقول عن ابن بطال فبلغ بي الاحصاء 2353 نصا [112]، موزعة على النحو التالي:

1 - الحافظ ابن حجر: وهو كان اكثر الاربعة نقلا عن ابن بطال، استفادة من آرائه، ونقدا لاستنباطاته، وتعليقا على أقواله، وبلغت النقول عنده قدرا يزيد على الالف بقليل[113].

2 - البدر العيني : وهو يلي الحافظ بن حجر في مقدار الاستفادة من ابن بطال، وبلغت النقول عنده 893 نصا.

3 - العلامة الكرماني: يصنف صاحب ً الكواكب الدراري ً في هذه المرتبة لان عدد النقول بلغ عنده 297 نصا.

4 - الشهاب القسطلاني : يتبوأ القسطلاني هذه المرتبة في النقل عن ابن بطال، ذلك ان مبلغ النقل عنده لم يتجاوز 160 نصا.

ولقد نوه الشيخ الفقيه عبد الكريم بن علي الانصاري المصري [114] بشرح ابن

---

110 - انظر نقول هؤلاء عن ابن بطال في المصادر الآتية: فتح الباري (1/ 40) و (2/ 218) و (2/ 470) و (3/ 246) و (10/ 352). وعمدة القارئ (4/ 143) و (9/ 15) و ارشاد الساري ((3/ 255) و (3/ 266). ولما نقول مغلطاي فكثيرة توجد في شرحه ً التلويح ً الذي توجد منه نسخة خطية بتطوان برقم 736 وهذه بعض مواضعها: (ج1/ 85 و 146 و 165 و 173 و 210 و 217 و 223).

112 - قمت بهذا الاحصاء بمساعدة مجموعة من الطلبة، ولا ندعي السلامة من الوهم والغفلة، والكمال لله وحده لا رب سواه.

113 - نقل الحافظ ابن حجر عن ابن بطال ألف نص وثلاثة نصوص.

114 - حلاه العبدري في رحلته (ص 100) تحقيق محمد الفاسي وزارة الثقافة الرباط 1968م. بقوله: ً الشيخ الفقيه العالم قدوة المدرسين بديار مصر علم الدين بسط الامام ابي اسحاق العراقي ً

بطال أثناء تقريضه لشرح الزين بن منير على البخاري فقال:

وكان ابن بطال تصدى لمثل مـــا *** تصدى له قاضي القضاة من الشرح [115]

فاجهد في شرح البخاري نفســه *** واظهـر تحقيقا، وبالغ في النصح

سادسا : التعقبات على شرح ابن بطال:

لم يسلم ابن بطال في شرحه للبخاري من انتقادات الائمة الشراح الذين جاؤوا بعده واطلعوا على كتابه، ويمكن تصنيف هذه الانتقادات بحسب موضوعها الى ما يلي:

1 - رد دعوى عدم الوقوف على هيئة معينة للالفاظ الغريبة :

من ذلك ان ابن بطال قال معلقا على قول ابن عباس: ً ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه [116] – ...ًَ: ً لم اجده بالخاء المعجمة عند أهل اللغة ً [117] فتعقبه العيني بقوله: ً وتبعه القاضي عياض، فقال: ً هو هنا وهم ً قلت: الصواب مع الداودي، فان صاحب العباب قال: وخط في نومه خطيطا اي غط ً [118].

2 - رد دعوى التصحيف اللاحق للالفاظ:

من ذلك ان ابن بطال ادعى ان الرواية في قوله صلى الله عليه وسلم: ً من صلى نائما فله نصف أجر القاعد: [119] قد تصحفت، وأن الصواب من صلى بايماء ً على انه جار ومجرور مصدر أومأ قال: ً وقد غلط النسائي في حديث عمران بن حصين، وصحفه، وترجم له باب : صلاة النائم ً، فظن ان قوله صلى الله عليه وسلم: ً من صلى بايماء ً ، انما هو من صلى نائما ً ... والغلط فيه ظاهر لانه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر المصلي اذا غلبه النوم ان يقطع الصلاة... ً [120])، ولم يرتض العيني مقالة ابن بطال فتعقبه قائلا: ً... واما ما ادعاه ابن بطال عن النسائي من انه صحفه فقال ً نائما ً انما الرواية بايماء على الجار والمجرور، فلعل التصحيف من ابن بطال، وانما الجأه إلى ذلك حمل قوله ً نائما ً على النوم حقيقة الذي امر المصلي اذا وجده ان يقطع الصلاة وليس المراد ههنا الا الاضطجاع لمشابهته لهيئة النائم» [121].

---

115 – انظر : رحلة العبدري (ص 110).

116 – انظر الحديث بطوله في كتاب العلم، باب السمر في العلم حديث 117

117 – انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 90) والفتح (ج 1 ص 172).

118 – انظر: العمدة (ج / ص 179) والفتح (ج 1/ص 172).

119 – اخرجه البخاري في تقصير الصلاة، باب صلاة القاعد حديث رقم 1115.

120 – انظر: العمدة (ج 7/ ص 159).

121 – انظر: العمدة (ج 7/ ص 159).

3 - دفع دعوى غلط نساخ صحيح البخاري:

من ذلك: ان البخاري قال في كتاب الجهاد: ً باب كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو ً وكذلك يروى عن محمد بن بشر عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتابعه ابن اسحاق عن نافع عن بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم... ً ثم اخرج في هذا الباب من طريق مالك حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو ً (122). فانبرى ابن بطال يناقش في ترتيب هذا الباب كما حكى ذلك عنه ابن حجر والعيني، قال ابن حجر: ً ادعى ابن بطال ان ترتيب هذا الباب وقع فيه غلط من الناسخ، وان الصواب ان يقدم حديث مالك قبل قوله : ً وكذلك يروى عن محمد بن بشر... ً قال: وانما احتاج الى المتابعة لان بعض الناس زاد في الحديث : ً مخافة أن يناله العدو ً . ولم تصح هذه الزيادة عند مالك، ولا عند البخاري (123) ً . قال ابن حجر معترضا: ً وما ادعاه من الغلط مردود، فانه استند الى أنه لم يتقدم شيء يشار اليه بقوله كذلك، وليس كما قال لانه اشار بقوله كذلك الى لفظ الترجمة كما بينته من رواية المستملي (124)، واما ما ادعاه من سبب المتابعة فليس كما قال، فان لفظ الكراهية تفرد به محمد بن بشر، ومتابعة ابن اسحاق له انما هي في اصل الحديث، لكنه افاد ان المراد بالقرآن المصحف لا حامل القرآن ً (125).

4 - بيان ما في نقول ابن بطال من أوهام وغلط:

ولهذا النوع من النقد امثلة منها: ان ابن بطال نقل عن الامام الشافعي ان بين وقت الظهر، وبين وقت العصر فاصلة لا تكون وقتا للظهر ولا للعصر: ً فتعقبه الحافظ بن حجر الشافعي الخبير بفقه الإمام القرشي قائلا: ولا يعرف ذلك في كتب المذهب عن الشافعي وانما المنقول عنه انه كان يذهب إلى ان آخر وقت الظهر ينفصل من أول وقت العصر ً (126).

5 - بيان غفلة ابن بطال في حكاية الاقوال والمذاهب:

ويدخل في هذا الضرب من النقد أمران:

---

122 - انظر حديث رقم 2990 من الجامع الصحيح (مع الفتح (ج 6/ ص 133).

123 - انظر: فتح الباري (ج 6/ ص101) وانظر معه أيضا العمدة (ج 14 / ص 214)

124 - يشير ابن حجر الى قوله: ًقوله ً باب كراهية السفر بالمصاحف الى أرض العدو ً سقط لفظ ً كراهية ً الا للمستملي ً فاثبتها، وبثبوتها يندفع الاشكال الآتي ً
قلت : يريد ابن حجر اشكال ابن بطال الذي نقلناه.

125 - انظر : فتح الباري (ج 6/ ص 101).

126 - انظر : فتح الباري (ج 2/ ص 18).

1 - بيان فوات ابن بطال: ومعنى ذلك ان يدعي ابن بطال اتفاق العلماء في مسألة ما، ويفوته قول فيها مخالف لبعض أصحاب المذاهب، فيكون ما نقل أولا موضع نظر ونقاش، من ذلك ان الحافظ بن حجر قال تعليقا على قول البخاري: ً باب اذا وهب هبة، فقبضها الآخر، ولم يقل قبلت ً: أي جازت، ونقل فيه ابن بطال اتفاق العلماء، وان القبض في الهبة هو غاية القبول ً، ثم ان الحافظ اعترض على نقل ابن بطال الاجماع في هذه المسألة، وقال: ً وغفل رحمه الله عن مذهب الشافعي، فان الشافعية يشترطون القبول في الهبة دون الهدية، الا ان كانت الهبة ضمنية كما لو قال: اعتق عبدك عني، فعتقه عنه، فانه يدخل في ملكه هبة، ويعتق عنه، ولا يشترط القبول ً (127).

2 - بيان غفلة ابن بطال عن رواية في مذهبه، من ذلك أن بن بطال قال عند قول البخاري: ً باب الوليمة حق ً: ً قوله الوليمة حق أي ليست بباطل، بل يندب اليها، وهي سنة فضيلة، وليس المراد بالحق الوجوب... ولا اعلم احدا أوجبها ً، ولما وقف الحافظ ابن حجر على كلام ابن بطال دفعه قائلا: ً وغفل رحمه الله عن رواية في مذهبه بوجوبها نقلها القرطبي ً (128).

6 - بيان ما في كلام ابن بطال على مسائل حديثية:

وذلك من خلال ما يأتي:

أ - رد تعيين مصدر الوهم في الحديث:

ففي حديث أنس بن مالك الذي قال فيه: ً كنا نصلي العصر، ثم يذهب الذاهب منا إلى قباء... ً (129)، اختلف في قوله: ً الى قباء ً، اذ روي: ً إلى العوالي ً. ثم اختلف في تعيين مصدر الوهم في رواية هذه اللفظة، قال الحافظ: ً ... واما استدلال ابن بطال على ان الوهم فيه ممن دون مالك برواية خالد بن مخلد المتقدمة الموافقة لرواية الجماعة عن الزهري، ففيه نظر، لأن مالكا اثبته في الموطأ باللفظ الذي رواه عنه كافة أصحابه فرواية خالد بن مخلد عنه شاذة، فكيف تكون دالة على ان رواية الجماعة وهم ؟ بل ان سلمنا انها وهم فهو من مالك كما جزم به البزار والدارقطني ومن تبعهما؟ أو من الزهري حين حدثه به؟ والأولى سلوك طريق الجمع التي أوضحناها والله الموفق(130)

127 - انظر: فتح الباري (ج 5/ ص 170).

128 - انظر: فتح الباري (ج 9/ ص 188).

129 - اخرجه البخاري في المواقيت، باب وقت العصر حديث رقم 551.

130 - انظر : فتح الباري (ج 2/ ص 23). والعمدة (ج 5/ ص 37) ورد الحافظ في غاية النفاسة والمتانة، فلله دره م حافظ ناقد بصير.

ب- الاعتراض على بيان المهمل:

ومن هذا القبيل ان ابن بطال جزم بان المهمل في قول طلحة بن عبيد: جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث" [131] هو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد ابن بكر" [132].

فتعقبه ابن حجر وغيره بقوله: "لكن تعقبه القرطبي بان سياقهما – يشير الى حديث طلحة وحديث ضمام الذي جعله مسلم في صحيحه عقب الحديث الاول – مختلف، واسئلتهما متباينة قال: ودعوى انهما قصة واحدة دعوى فرط، وتكلف شطط من غير ضرورة" [133].

7 - بيان ما في كلام ابن بطال على قضايا الفقه والخلاف:

وتعقبات الائمة في هذا الباب تنقسم إلى نوعين:

أ – تعقبات في مناقشة أقوال الائمة اصحاب المذاهب المتبوعة:

ب – تعقبات في الاستنباط واستخراج الحكم من الادلة:

فمن الاول: قول ابن بطال عن ذكر فوائد حديث ابي سعيد الخدري: "ليس فيما أقل من خمسة أوسق صدقة ..." [134] – اتفق الجمهور على اعتبار الخمسة الاوسق، وقال أبو حنيفة بعدم اعتبارها واوجب الزكاة في قليله وكثيره... وهذا خلاف السنة، والعلماء، وقد ناقض حيث استعمل المجمل والمفصل في مسألة الرقة، ولم يستعمل في هذه المسألة كما أنه اوجب الزكاة في العسل، وليس فيها خبر ولا إجماع" [135]. ولما وقف العيني على مناقشة ابن بطال للامام ابي حنيفة اعترضه بقوله: "قلت قوله خلاف السنة باطل، لانه احتج فيما ذهب اليه بحديث الباب... والذي ذهب اليه ابن بطال خلاف القرآن، لان عموم قوله تعالى: # وآتوا حقه يوم حصاده" يتناول القليل والكثير... وقوله خلاف العلماء ايضا باطل، لان قول أبي حنيفة وهو قول من ذكرناهم الآن... وقوله "قد تناقض" غير صحيح، لان من نقل ذلك من اصحابه لم يقل أحد منهم أنه استعمل المجمل والمفصل، واصحابه ادرى بما قاله، وبما ذهب اليه.." [136]

131 – اخرجه البخاري في الايمان، باب الزكاة من الاسلام حديث رقم 46.
132 – انظر: شرح ابن بطال (ج 1/ لوحة 39).
133 – انظر فتح الباري (ج 1/ ص 106) والعمدة (ج 1/ ص 267).
134 – اخرجه البخاري في الزكاة، باب ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة حديث رقم 1484.
135 – انظر: الكواكب الدراري (ج 8/ ص 30) والعمدة (ج 9/ ص 73 و 74).
136 – انظر : العمدة (ج 9/ ص 73 و 74).

ومن الثاني : وهو باب واسع لو تتبع، ان ابن بطال ذكر في فوائد حديث جابر وقوله: "دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد، فدخلت اليه وعقلت الجمل في ناحية البلاط..." (137) – ان رحاب المسجد مباح للبعير الداخل فيه، قال: "[و] فيه حجة لمالك والكوفيين في طهارة ابوال الابل، وارواثها، ورد على الشافعي فيما قال بنجاستها" (138).

ولما وقف الكرماني على استنباط ابن بطال قال متعقبا: "واقول لا دليل في الحديث على دخول البعير في المسجد، وعلى حدوث البول والروث فيه، وعلى تقدير الحدوث فقد يغسل المسجد وينظف، فلا حجة لهم، ولا رد عليه" (139).

ولقد قمت بدراسة احصائية لمجموعة من الانتقادات المستخرجة من شرح الكرماني وابن حجر والعيني والقسطلاني، ثم صنفت هؤلاء الائمة الاربعة حسب قلة أو كثرة النقد، فكانوا جميعا على النحو التالي:

1 - الحافظ ابن حجر: وهو كان اكثر الائمة اعتراضا على ابن بطال، وتنكيتا عليه، اذ تعقبه في 166 موضعا، بعبارة مؤدبة، وطبع مهذب، وقد يحكي انتقاد غيره، ثم ينقضه مدافعا عن ابن بطال (140).

2 - البدر العيني: وكان أشد على ابن بطال من الحافظ بن حجر، دفاعا عن مذهبه، وانتصارا لنحلته، ومع ذلك فقد كان مقلا في النقد اذ تعقب ابن بطال في 75 موضعا.

ولقد يحمله الانصاف، والعلم برسوخ قدم ابن بطال في الشرح والبيان على ان يقول: "وليس أحد من الشراح غير ابن بطال اعطى لهذا الحديث حقه" (141).

3 - العلامة القسطلاني: وقد تعقب ابن بطال في 11 موضعا.

4 - العلامة الكرماني: وقد تعقب ابن بطال في عشرة مواضع.

ولقد أكثر كل من أتى بعد ابن بطال من انتقاده، وتتبع كلامه، ومن هؤلاء

---

137 – اخرجه البخاري في المظالم باب من عقل بعيره على البلاط أو باب المسجد حديث رقم 2470.

138 – انظر : العمدة (ج 3/ ص 22).

139 – انظر : الكواكب الدراري (ج 11/ص 40).

140 – انظر مثلا منافحة ابن حجر عن ابن بطال في نسبة الذهول اليه في الفتح (ج 9/ ص 457).

141 – انظر: العمدة: (ج 6/ ص 258). والحديث المشار اليه حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخوف: "وان كانوا اكثر من ذلك فليصلوا قياما وركبانا" انظر البخاري (مع الفتح ج 2/ ص 431).

القاضي عياض والقرطبي والزين بن المنير وابن رشيد ومغلطاي، وكلام هؤلاء وغيرهم في نقد ابن بطال موجود في جملته في فتح الباري [142].

وبعد: فلقد كان الغرض من هذه الدراسة ان تميط اللثام، وتنفض الغبار عن علق نفيس من تراثنا المخطوط، الذي استفاد منه أكابر العلماء شرقا وغربا، عسى ان تسمو همم الباحثين المشتغلين بالتحقيق الى بعثه واخراجه.

والحمد لله أولا وأخيرا وصلى الله على
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

---

142 - انظر جملة من انتقادات هؤلاء في :
فتح الباري (ج 2/ ص 182 و 218) و (ج 3/ ص 246) و(ج 9/ ص 457) و (ج 11/ ص 65 و 365).